التأثير العكسي
تأثير اللغة الإنكليزية لغة ثانية في اللغة العربية لغة أولى

جعفر بن جاسم

مقدمة:

لا يختلف اثنان من اللغويين واللسانيين أو حتى معلمي اللغة الثانية في أن مَن يسعى لتعلم لغة أخرى غير لغته الأم ينزع – بشكل مباشر أو غير مباشر – إلى نقل معارف لغته الأولى إلى اللغة الثانية التي يتعلمها. وهذا الأمر يتأكد بنسبة عالية خصوصًا مع المتعلمين المبتدئين؛ نظرًا لقلة احتكاكهم باللغة الثانية مقارنة باحتكاكهم مع لغتهم الأولى (اللغة الأم)، وهو ما يسمى تأثير اللغة الأولى على الثانية.

غير أن الدراسات الحديثة أولت اهتمامًا لنوع آخر من التأثير، وهو ما يسمى اليوم "التأثير العكسي" (reverse transfer) بعد أن لاحظ كثير من الباحثين واللغويين وجود هذا النوع من التأثر لدى متعلمي اللغة الثانية، وعلى الخصوص المتقدمين أو المتطورين في تعلم اللغة الثانية. فبدأت تنشأ بين أوساط اللغويين فكرة التأثير أو التأثر الثنائي أو ما يطلق عليه عالميًا (bidirectional transfer). وكان الدافع وراء هذا الاهتمام وجود الكثير من التساؤلات التي من بينها: هل يختلف أحاديو اللغة (monolinguals) عن نظائرهم من ثنائيي اللغة (bilinguals) من حيث المعرفة والإدراك؟

ونتيجة لتلك التساؤلات، كُتبت العديد من الأبحاث واُقترحت المزيد من النظريات في محاولة للإجابة على هذه التساؤلات، ورسم الحدود العامة لهذا التأثير. وكان من بين تلك النظريات نظرية مولتي كمبوتنس (multi-competence) التي وضع لبناتها الأولى اللغوي البريطاني فيفيان كوك عام ١٩٩٠م. ومن ذلك الحين توالت الأبحاث والدراسات ما بين مؤيد ومعارض ومشكك ومؤكد.

الغرض من الدراسة:

وكان الدافع وراء هذه الدراسة بالإضافة إلى شحة البحوث التي أُعدتْ في هذا الشأن، وعلى الخصوص فيما يتعلق بالجانب النحوي، هو اضطراب نتائج الدراسات السابقة وتناقضها إلى حد ما، كما هو واضح بين الدراسة التي كتبها Brown and Gullberg عام ٢٠٠٨م والدراسة التي كتبها قبلهما Cookعام ٢٠٠٦م. ومن أسباب كتابة هذه الدراسة أيضًا اعتماد الدراسات السابقة على منهجية بحث غير دقيقة جدًا في التحليل وإظهار النتائج. وقد اعتمدت في دراستي هذه على منهجية أكثر اعتبارًا ودقة، كما سيتضح في القسم القادم. ومن أهم التساؤلات التي سعى البحث للإجابة عنها:

١. إلى أي مدى يختلف أحاديو اللغة (متحدثو اللغة العربية فقط) عن ثنائيي اللغة (متحدثي اللغة العربية والإنجليزية) من حيث معرفتهم المعجمية والنحوية.

٢. هل هناك بوادر للتأثر العكسي (reverse transfer) بين ثنائيي اللغة؟ وفي أي مجال؟

منهج البحث:

للإجابة على تلك التساؤلات، قمت باختيار ١٤ طالبًا ممن يتحدثون العربية والإنجليزية معًا، و١٥ طالبًا ممن يتحدثون العربية فقط. وطلبت منهم القيام بمهمتين: الأولى تتضمن مشاهدة فيلم صامت قصير ثم الكتابة عما جاء فيه، والثانية تتضمن قيام الطالب بتسجيل نفسه وهو يتحدث مع شخص آخر لمدة لا تزيد عن دقيقتين. ومن ثم قمت بجمع هذه المعلومات وتحليلها ومناقشة النتائج. كما خضع جميع الطلاب لورقة استبانة قبل البدء بالتجربة لقياس مستواهم اللغوي ومعرفتهم بلغتي التجربة.

وبعد الانتهاء من جمع البيانات، اعتمدت في تحليلها على برنامج SPSS بناء على اختبارات عدة كاختبار (independent sample t-test) واختبار (dependent sample t-test).

نتائج الدراسة:

وقد أظهرت الدراسة بعض النتائج اللافتة للنظر، فعلى سبيل المثال، حوت البيانات التي جمعتها من ثنائيي اللغة (متحدثي اللغتين العربية والإنجليزية) الكثير من الكلمات الإنجليزية خلال حديثهم باللغة العربية مما يوحي بتأثرهم باللغة الإنجليزية من الناحية المعجمية على نحو أدى إلى استعارتهم – بشكل إدراكي أو غير إدراكي أحيانًا– منها. كما قد أظهرت بعض الإشارات إلى تأثر ثنائيي اللغة في نظامهم النحوي وليس المعجمي فحسب. ومن الأمثلة على ذلك، وجود نزعة لدى ثنائيي اللغة إلى ترك حرف العطف (الواو) بين المتعددات أو المعدودات أو الأقسام. الأمر الشبيه بالمعمول به في قواعد اللغة الإنجليزية التي تنزع إلى ترك ذكر حرف العطف بين المعدودات سوى قبل آخر معدود. ومن الأمثلة الأخرى على هذا أيضًا، ميل ثنائيي اللغة إلى استخدام الأحوال من أمثال (أحيانًا، دائمًا) كما هو موجود ومرتب في اللغة الإنجليزية فقط. فلم أجد في البيانات المأخوذة من ثنائيي اللغة أمثال هذه الجملة (أنا أنام عادة مبكرًا) بإدراج "عادة" بعد الفعل مباشرة وهو المعمول به فقط في قواعد اللغة العربية؛ مما يوحي بتأثرهم بقواعد اللغة الإنجليزية التي تحظر أمثال هذا الاستخدام.